جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: الثالثة

المادة : تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي

عنوان المحاضرة: قيام الخلافة العباسية

أسم التدريسي : أ.د. صباح جاسم حمد

الإيميل الجامعي للتدريسي : sabah_jasim@tu.edu.iq

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم.
أما بعد

يطلق مصطلح العصر العباسي على المدة الزمنية التي تمتد من سنة (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٣٥٨م) وتعد هذه الخلافة نقطة تحول في التاريخ الإسلامي نتيجة للأحداث التي شهدتها. فقد كانت بداياتها ليست مجرد تغير في الأسر الحاكمة، إنما هي ثورة جماهيرية ذات تنظيم فكري له ارتباطات بكل أمصار ومدن العالم الإسلامي آنذاك. واصل تسميتهم بالعباسيين لأن مؤسسي هذه الخلافة والقائمين بأمرها ينتسبون الى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم الرسول صلى الله عليه وسلم والذي كان احد اصحابه ومناصريه رغم ان إسلامه كان متأخرا.

وتشير الروايات انه كان على قيد الحياة حين توفي رسول الله وأنه قال لعلي ابن أبي طالب: "يا ابن أخي ابسط يدك أبايعك". وهذا يدل دلالة قاطعة بأنه لم يكن له أي ميول سياسية أو رغبة في الخلافة. إنما أحفاده هم من قاموا بثورتهم من بعده حيث اعدوا لها إعدادا مكنهم من الإطاحة بالخلافة الأموية، وأن يؤسسوا على أنقاضها قواعد دولة جديدة رفعت شعار العدل والمساواة بين جميع المسلمين، والعمل على إعادتهم على منهج الرسول عليه الصلاة والسلام والاقتداء بسيرته، لتعرف تلك الدولة فيما بعد باسم الخلافة العباسية. وقبل الدخول في تاريخ هذه الخلافة وأهم ما حققته من انجازات وجدنا من الضروري معرفة جذور تلك الأسرة ثم المشروع السياسي التي تبنته ودعت الناس اليه، وبعد ذلك البدء بإعلان الثورة العباسية.

أولا: الجذور التاريخية للعباسيين

تولى العباسيون الحكم بعد أن قطعوا شوطا كبيرا في التنظيم والإعداد والعمل الدؤوب للوصول إليه، ليكون منصب الخلافة بعد ذلك وقفا على هذا البيت ينتقل من الآباء الى الأبناء. فمن المعلوم ان نظام التوريث في الخلافة لم يكن حكرا على العباسيين إنما أقره الأمويون من قبل ومنذ خلافة معاوية. وقبل الحديث عن خلفاء بني العباس وانجازاتهم وأهم ما شهدته الخلافة في عهدهم من تطورات أردنا بدء الحديث عن أصل تسميتهم ورجالاتهم حتى ظهور أول خليفة عباسي.

١ - العباس بن عبد المطلب بن هشام

جاءت تسمية العباسيين نسبة الى العباس بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف القرشي، وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أسن منه بثلاث سنين، وكان من أكبر رجال بني هاشم مكانة، وأكثرهم مالا في الجاهلية، فقلدوه قيادتهم، فكان رئيسهم المطاع فيهم بعد وفاة أبي طالب، وكانت إليه السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام، فكان لا يدع أحدا يسب في المسجد ولا يقول فيه هجرا، ويحملهم على عمارته في الخير، ولا يستطيعون لذلك امتناعا، لأن قريش كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك، فكانوا له أعوانا عليه وأسلموا ذلك إليه.

وكان العباس قد حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، وشهد بدرا مع المشركين مكرها فأسر فافتدى نفسه ورجع الى مكة، ثم أسلم وكتم إسلامه، ثم هاجر الى المدينة قبل الفتح بقليل، وشهد فتح مكة، وثبت يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي تولى إحكام الأمر لرسول الله مع الأنصار حين الهجرة.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجله ويقدره، وقد وردت أحاديث في فضله ومناقبه، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ان العباس مني وأنا منه)، وقوله عليه السلام: (إن عم الرجل صنو أبيه)، وكذلك ومما يدل على فضله ومكانته من النبي توسل الخليفة عمر بن الخطاب بدعائه، فقد جاء في صحيح البخاري عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانوا اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال:(اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم

فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون).

لم يكن للعباس أي نفوذ كبير أو طموح في الخلافة بعد وفاة الرسول، بدليل انه قال لابن اخيه علي بن أبي طالب: (ابسط يدك للبايعك) وكانت وفاته بالمدينة عام ٣٢ هـ ودفن بالبقيع رضي الله عنه، وأعقب أولاد كثيرين، وعلى ذلك فالعباس بن عبد المطلب هو جد الخلفاء العباسيين واليه ينتسبون.

٢- عبد الله بن عباس

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه لبابة بن الحارث الهلالية اخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين زوجة النبي عليه السلام، وهو

حبر الأمة وترجمان القرآن، وكان يقال له: الحبر والبحر لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم، ودعا له بالفقه والعلم فقال: (اللهم فقهه بالدين وعلمه التأويل). وكان كوالده فلم يكن له طموح سياسي بالخلافة، ولهذا انظم مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيده وولاه على البصرة، وبعد وفاة علي اعتزل ورحل الى المدينة وبقي فيها حتى وفاته سنة ٦٨هـ.

٣- علي بن عبد الله بن عباس (السجاد)

ولد في العام الذي قتل فيه الإمام علي رضي الله عنه، ويقال ان والده عبد الله سماه وكناه ولقبه أبا الخلفاء. حدث عن أبيه ابن عباس وابن عمر وغيرهم، وأمه ابنة ملك كندة مشرح بن عدي، قال عنه ابن سعد: هو ثقة قليل الحديث. وورد عن الأوزاعي أنه كان يصلي في اليوم ألف سجدة، وقال الذهبي: لقب بالسجاد لكثرة صلاته. وكان عالما وسيدا شريفا بليغا وكبيرا عند أهل الحجاز. وكان اذا قدم مكة حاجا أو معتمرا عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام، ولزمت مجلسه إجلالاً له وتبجيلا. ولذلك فقد جمع صفات الزعامة من علم وهيبة ومكانة في نفوس الناس.

ارتحاله الى الشام

أوصى عبد الله بن عباس ابنه عليا هذا بالابتعاد عن الحجاز والذهاب الى الشام للتخلص من خطر ابن الزبير الذي كان يتحين الفرص للتخلص منه ومن أتباع أبيه عبد الله بن العباس. ولما توفي أبوه عمل بوصيته ورحل الى الشام واستقبله عبد الملك بن مروان واحتفى به وأقطعه قرية في البلقاء شرق الأردن اسمها الحميمة. وكان يجلسه على سريره اذا دخل ويحادثه ويسامره، وكان يرعاه ويهدي إليه الجوائز ويقضي حوائجه ويقبل شفاعته.

سعيه للخلافة في زمن الوليد

كان علي العباسي أول شخصية عباسية تطمح لنيل الخلافة رغم الغموض الذي يحيط بشخصيته، فقد نادي بحق العباسيين فيها مرارا، ونظر الأمويون اليه بعين الشك والحذر، فلم يعبأ به عبد الملك بن مروان ولم يصطدم به وأهمله.

أما في عهد الوليد بن عبد الملك فقد وصلت الأخبار بأن عليا يطلب الخلافة ويتنبأ بانتقالها الى بنيه، فضيق عليه ونال منه وشهر به، ثم جلده وطرده من

الشام. وقد التمس عليا الوليد الأسباب للانتقام منه والإضرار به، ولكن الوليد ردعه وعاقبه وجلده مرارا ونفاه.

ولما استخلف سليمان بن عبد الملك تغير حاله، لأن الخليفة الجديد كان لا يرى فيه ما يستوجب اضطهاده، فرده الى دمشق، وأخلى سبيله، وأزال عنه ما لحق به من ظلم، وربما اعتذر إليه من تعذيب الوليد له. فأنصفه فصلحت حاله واستقامت، ورجع الى الحميمة، فأقام بها عزيزا وعاود نشاطه السياسي.

ولما جاء عهد عمر بن عبد العزيز أمر بالكف عن اضطهاد بني هاشم، وقسم فيهم سهم ذي القربى، فانتعشوا وكتبوا اليه يتشكرون له ما فعله بهم من صلة أرحامهم.

ولما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة، كان النشاط السياسي لعلي العباسي قد قطع شوطا جيدا في مسار الدعوة السرية، فأحسن هشام اليه وأعانه على قضاء أموره المالية، ولم يهتم لنشاطه السياسي وتغاضى عنه مستهينا بعمله ونشاطه. وكان هشام بطبعه رفيقا رحيما ميالا الى الاستصلاح ومبغضا للقمع والفتك حتى أخطأ في تقدير خطره، وقصر عن إدراك تهديده لملك بني أمية. وكان ينسب الإهمال والتغاضي عنه الى فساد عقل علي وضعف رأيه وأضغاث أحلام في شيخوخته.

ويرى بعض المؤرخين أن علي بن عبد الله بن عباس كان أول من تمنى الخلافة في بني العباس، وشرع في تأسيس الدعوة لهم على انتقال الخلافة إليهم، وأظهر ذلك وجهر به. وقد مات علي عام ١١٨هـ.

٤- محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

كان محمد بن علي أنبه إخوته وأفضلهم، فهو الذي رسخ قواعد الدعوة لبني العباس، وشيد أركانها، ورفع بنيانها، فقد سعى لتوطيدها وبثها، فوضع أنظمتها وشعاراتها، وأنشأ مجالسها، واختار قادتها، ومكن لها في الكوفة وخراسان، وشحذ عزائم أنصارها، وجهزهم ليوم

إعلان الثورة وتفجيرها، وكان من أجل الناس وأعظمهم قدرا، وله علم وفقه ورواية، وكان مجاهداً يغزو مع إخوته ومواليه، وكان سيد ولد أبيه، وخيرهم دينا وأسخاهم كفا، شديد الصبر، سديد الرأي، حسن التدبير، بليغ القول.

ولأجل ذلك فقد اعتبر الكثير من المؤرخين أن محمد بن علي العباسي هو المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس لأنه أظهر الطموح السياسي الواضح والصريح في تولي زمام الأمور بعد وفاة والده، وعمل بصورة سرية ومنظمة تنظيما دقيقا لنيل الخلافة.

علاقته بأبي هاشم ووصيته له

كان محمد بن علي العباسي على علاقة وثيقة وقوية مع أبي هاشم الذي يعتبر إمام الفرقة الهاشمية، ويذكر ابن عساكر انه كان أحد تلاميذه وأن أباه أرسله اليه فتعلم عليه بالمدينة.

وبعد موت محمد بن علي ابن الحنفية عام ٨١هـ افترق أتباعه الى فرقتين: الأولى ظلت متمسكة بآرائها الكيسانية، فقالت إنه غائب عنا، لكنه حي يرزق بمكان يدعى (جبل رضوى) ولا بد من رجعته، فهم لا يوالون غيره لأنهم من ينتظرونه.

والثانية تحولت الى القول بإمامة ابنه عبد الله المكنى –بأبي هاشم– بوصية من بعده، وسميت بالفرقة الهاشمية. وتعتقد أن الأمر صار الى أبي هاشم بوصية من أبيه. وهذه الفرقة تعتبر أكبر الفرق العلوية، وأدقها تنظيما، وأكثرها حماسا. وقد عرف أبو هاشم برجاحة عقله، وسعة علمه، وحسن تدبيره، ومعرفته بأحوال الفرق. فزاد أتباعه بعد وفاة والده. فأخذ يدبر الأمور، ويبعث الدعاة بسرية تامة موضحا –في نظره– أحقيته بالخلافة.

قدم أبو هاشم على سليمان بن عبد الملك بدمشق، فأكرمه وأجازه، ثم سار أبو هاشم يريد فلسطين أو الحجاز، فمرض في الطريق وأحس بالموت، ولم يكن له ولد، فعدل الى الحميمة ونزل على محمد بن علي العباسي، فأوصى إليه بالإمامة، وسلم إليه كتب الدعاة، وأوقفه على ما يعمل به، وصرف أتباعه إليه، وأمرهم بالسمع والطاعة له، وأعلمه أن قيادة الهاشمية إليه من بعده.

هذا وقد اختلف المؤرخون في صحة هذه الوصية. فالبلاذري يؤكد صحتها بقوله: (ان أبا هاشم قال لمحمد العباسي: يا ابن عم إنا كنا نظن أن الإمامة فينا، فقد زال الشك وصرح اليقين بأنك الإمام دون أبي وأعطاه كتبه وسمى له شيعته)-

أما المؤرخ اليعقوبي فهو يوافق البلاذري أن أبا هاشم بعد أن مرض قال: (ميلوا بي الى ابن عمي محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فلما قدموا عليه بالحميمة قال له: يا ابن عم أنا ميت، وقد صرت اليك، وهذه وصية أبي إلي، وفيها أن الأمر صائر إليك والى ولدك، والوقت الذي يكون فيه، والعلامة وما ينبغي لكم العمل به).

أما الطبري فيتفق في جوهر الرواية مع سابقيه، ولكنه يقول: (يا ابن عمي إن عندي علما أنبذه إليك، فلا تطلعن عليه أحدا، إن هذا الأمر الذي ترتجيه الناس فيكم).

ويعالج موضوع الوصية هذه مؤرخون آخرون مثل ابن سعد والمسعودي وغيرهم. وسواء أكانت الوصية صحيحة أم موضوعة، فان بني العباس وأتباعهم اعتمدوا عليها في تقرير حقهم في الخلافة، ولم يزالوا يذكرون أن الخلافة أتتهم من جهتها الى أيام أبي جعفر المنصور.

وقد اختلف المؤرخون المعاصرون من مستشرقين ومسلمين في صحة الوصية. فهناك من قبلها على انها صحيحة تاريخيا، أمثال فان فلوتن وبرنارد لويس وموسكتي وعبد العزيز الدوري وحسن ابراهيم حسن، وهناك من جعلها أسطورية وخيالية مثل ولهاوزن.

قد أكد جماعة من المؤرخين تحول دعوة أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية الى العباسيين والتي عمل من أجلها حوالي سبعة عشر عاما، واستقطب فيها كبار العلوية من العراق وخراسان، وفرقهم على المدن والأقاليم، وأعدها لليوم المرتقب. وكانت وفاة محمد بن علي العباسي عام ٨٩ هـ، بعد موت محمد بن الحنفية عام ٨١هـ.

أسباب تنازل أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي

في ضوء ما جاء من النصوص التاريخية التي ذكرت تنازل أبي هاشم عن الدعوة لمحمد بن علي العباسي عندما أحس بدنو الأجل، فقد استدل بعض المؤرخين المعاصرين بأن

ليس هناك ما يمنع من تنازل أبي هاشم بالخلافة لأبناء عمومتهم العباسيين وذلك للأسباب التالية:

١- ان أبا هاشم لم يكن له ولد يخلفه فيوصي له بالأمر من بعده.
٢- عرف أبو هاشم أنه لا أمل له في الوصول الى الخلافة، بعد أن عرف قرب أجله ولم يسعفه الوقت في حرية اختيار شخص آخر، فوجد أفضل الخيارات في تلك اللحظة هو محمد بن علي العباسي.
٣- كان بين أبي هاشم ومحمد بن علي العباسي علاقات ودية ولقاءات علمية وصداقة قوية، الأمر الذي ساعد على تنازل أبي هاشم لمحمد هذا.
٤- كان أبو هاشم قد عرف كبار أتباعه ودعاته من أهل العراق وخراسان بمحمد بن علي العباسي أثناء ترددهم عليه، كما أخبرهم أن الأمر صائر اليه بعد وفاته، كما تزعم بعض الروايات.
٥- كان أبو هاشم كثيرا ما يستعين بآراء محمد بن علي العباسي حول موضوع الدعوة والدعاة وأحوال الديار، وكذلك بغضهم المشترك لبني أمي.
٦- ان الناس لم يحتاجوا الى أن يفرقوا يومئذ بين آل البيت. هل هم علويون أم عباسيون؟ لأنهم نظروا اليهم جملة واحدة على انهم كل متضامن لا ينازل أحد أحداً، وإن كانوا بيوتا مختلفة لكل بيت دوره وواجهته.

على ان هنالك مسألة جديرة بالملاحظة وهي ان نزول أبي هاشم عن الإمامة لبني العباس لا يمكن أن يعتبر نزولا عن العلويين جميعا، لان فريقا منهم ظل متمسكا بعقائده، بدليل قيامهم في وجه العباسيين بثورات عارمة بعد قيام دولتهم.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم.
أما بعد

يطلق مصطلح العصر العباسي على المدة الزمنية التي تمتد من سنة (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٣٥٨م) وتعد هذه الخلافة نقطة تحول في التاريخ الإسلامي نتيجة للأحداث التي شهدتها. فقد كانت بداياتها ليست مجرد تغير في الأسر الحاكمة، إنما هي ثورة جماهيرية ذات

تنظيم فكري له ارتباطات بكل أمصار ومدن العالم الإسلامي آنذاك. واصل تسميتهم بالعباسيين لأن مؤسسي هذه الخلافة والقائمين بأمرها ينتسبون الى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم الرسول صلى الله عليه وسلم والذي كان احد اصحابه ومناصريه رغم ان إسلامه كان متأخرا.

وتشير الروايات انه كان على قيد الحياة حين توفي رسول الله وأنه قال لعلي ابن أبي طالب: "يا ابن أخي ابسط يدك أبايعك". وهذا يدل دلالة قاطعة بأنه لم يكن له أي ميول سياسية أو رغبة في الخلافة. إنما أحفاده هم من قاموا بثورتهم من بعده حيث اعدوا لها إعدادا مكنهم من الإطاحة بالخلافة الأموية، وأن يؤسسوا على أنقاضها قواعد دولة جديدة رفعت شعار العدل والمساواة بين جميع المسلمين، والعمل على إعادتهم على منهج الرسول عليه الصلاة والسلام والاقتداء بسيرته، لتعرف تلك الدولة فيما بعد باسم الخلافة العباسية. وقبل الدخول في تاريخ هذه الخلافة وأهم ما حققته من انجازات وجدنا من الضروري معرفة جذور تلك الأسرة ثم المشروع السياسي التي تبنته ودعت الناس اليه، وبعد ذلك البدء بإعلان الثورة العباسية.

أولا: الجذور التاريخية للعباسيين

تولى العباسيون الحكم بعد أن قطعوا شوطا كبيرا في التنظيم والإعداد والعمل الدؤوب للوصول إليه، ليكون منصب الخلافة بعد ذلك وقفا على هذا البيت ينتقل من الآباء الى الأبناء. فمن المعلوم ان نظام التوريث في الخلافة لم يكن حكرا على العباسيين إنما أقره الأمويون من قبل ومنذ خلافة معاوية. وقبل الحديث عن خلفاء بني العباس وانجازاتهم وأهم ما شهدته الخلافة في عهدهم من تطورات أردنا بدء الحديث عن أصل تسميتهم ورجالاتهم حتى ظهور أول خليفة عباسي.

١ – العباس بن عبد المطلب بن هشام

جاءت تسمية العباسيين نسبة الى العباس بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف القرشي، وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أسن منه بثلاث سنين، وكان من أكبر رجال بني هاشم مكانة، وأكثرهم مالا في الجاهلية، فقلدوه قيادتهم، فكان رئيسهم المطاع فيهم بعد وفاة أبي طالب، وكانت إليه السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام، فكان لا يدع أحدا يسب في

المسجد ولا يقول فيه هجرا، ويحملهم على عمارته في الخير، ولا يستطيعون لذلك امتناعا، لأن قريش كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك، فكانوا له أعوانا عليه وأسلموا ذلك إليه.

وكان العباس قد حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، وشهد بدرا مع المشركين مكرها فأسر فافتدى نفسه ورجع الى مكة، ثم أسلم وكتم إسلامه، ثم هاجر الى المدينة قبل الفتح بقليل، وشهد فتح مكة، وثبت يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي تولى إحكام الأمر لرسول الله مع الأنصار حين الهجرة.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجله ويقدره، وقد وردت أحاديث في فضله ومناقبه، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ان العباس مني وأنا منه)، وقوله عليه السلام: (إن عم الرجل صنو أبيه)، وكذلك ومما يدل على فضله ومكانته من النبي توسل الخليفة عمر بن الخطاب بدعائه، فقد جاء في صحيح البخاري عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانوا اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال:(اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم

فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون).

لم يكن للعباس أي نفوذ كبير أو طموح في الخلافة بعد وفاة الرسول، بدليل انه قال لابن اخيه علي بن أبي طالب: (ابسط يدك للبايعك) وكانت وفاته بالمدينة عام ٣٢ هـ ودفن بالبقيع رضي الله عنه، وأعقب أولاد كثيرين، وعلى ذلك فالعباس بن عبد المطلب هو جد الخلفاء العباسيين واليه ينتسبون.

٢- عبد الله بن عباس

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه لبابة بن الحارث الهلالية اخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين زوجة النبي عليه السلام، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، وكان يقال له: الحبر والبحر لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم، ودعا له بالفقه والعلم فقال: (اللهم فقهه بالدين وعلمه التأويل). وكان كوالده فلم يكن له طموح سياسي بالخلافة،

ولهذا انظم مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيده وولاه على البصرة، وبعد وفاة علي اعتزل ورحل الى المدينة وبقي فيها حتى وفاته سنة ٦٨هـ.

٣- علي بن عبد الله بن عباس (السجاد)

ولد في العام الذي قتل فيه الإمام علي رضي الله عنه، ويقال ان والده عبد الله سماه وكناه ولقبه أبا الخلفاء. حدث عن أبيه ابن عباس وابن عمر وغيرهم، وأمه ابنة ملك كندة مشرح بن عدي، قال عنه ابن سعد: هو ثقة قليل الحديث. وورد عن الأوزاعي أنه كان يصلي في اليوم ألف سجدة، وقال الذهبي: لقب بالسجاد لكثرة صلاته. وكان عالما وسيدا شريفا بليغا وكبيرا عند أهل الحجاز. وكان اذا قدم مكة حاجا أو معتمرا عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام، ولزمت مجلسه إجلالاً له وتبجيلا. ولذلك فقد جمع صفات الزعامة من علم وهيبة ومكانة في نفوس الناس.

ارتحاله الى الشام

أوصى عبد الله بن عباس ابنه عليا هذا بالابتعاد عن الحجاز والذهاب الى الشام للتخلص من خطر ابن الزبير الذي كان يتحين الفرص للتخلص منه ومن أتباع أبيه عبد الله بن العباس. ولما توفي أبوه عمل بوصيته ورحل الى الشام واستقبله عبد الملك بن مروان واحتفى به وأقطعه قرية في البلقاء شرق الأردن اسمها الحميمة. وكان يجلسه على سريره اذا دخل ويحادثه ويسامره، وكان يرعاه ويهدي إليه الجوائز ويقضي حوائجه ويقبل شفاعته.

سعيه للخلافة في زمن الوليد

كان علي العباسي أول شخصية عباسية تطمح لنيل الخلافة رغم الغموض الذي يحيط بشخصيته، فقد نادي بحق العباسيين فيها مرارا، ونظر الأمويون اليه بعين الشك والحذر، فلم يعبأ به عبد الملك بن مروان ولم يصطدم به وأهمله.

أما في عهد الوليد بن عبد الملك فقد وصلت الأخبار بأن عليا يطلب الخلافة ويتنبأ بانتقالها الى بنيه، فضيق عليه ونال منه وشهر به، ثم جلده وطرده من

الشام. وقد التمس عليا الوليد الأسباب للانتقام منه والإضرار به، ولكن الوليد ردعه وعاقبه وجلده مرارا ونفاه.

ولما استخلف سليمان بن عبد الملك تغير حاله، لأن الخليفة الجديد كان لا يرى فيه ما يستوجب اضطهاده، فرده الى دمشق، وأخلى سبيله، وأزال عنه ما لحق به من ظلم، وربما اعتذر إليه من تعذيب الوليد له. فأنصفه فصلحت حاله واستقامت، ورجع الى الحميمة، فأقام بها عزيزا وعاود نشاطه السياسي.

ولما جاء عهد عمر بن عبد العزيز أمر بالكف عن اضطهاد بني هاشم، وقسم فيهم سهم ذي القربى، فانتعشوا وكتبوا اليه يتشكرون له ما فعله بهم من صلة أرحامهم.

ولما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة، كان النشاط السياسي لعلي العباسي قد قطع شوطا جيدا في مسار الدعوة السرية، فأحسن هشام اليه وأعانه على قضاء أموره المالية، ولم يهتم لنشاطه السياسي وتغاضى عنه مستهينا بعمله ونشاطه. وكان هشام بطبعه رفيقا رحيما ميالا الى الاستصلاح ومبغضا للقمع والفتك حتى أخطأ في تقدير خطره، وقصر عن إدراك تهديده لملك بني أمية. وكان ينسب الإهمال والتغاضي عنه الى فساد عقل علي وضعف رأيه وأضغاث أحلام في شيخوخته.

ويرى بعض المؤرخين أن علي بن عبد الله بن عباس كان أول من تمنى الخلافة في بني العباس، وشرع في تأسيس الدعوة لهم على انتقال الخلافة إليهم، وأظهر ذلك وجهر به. وقد مات علي عام ١١٨هـ.

٤- محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

كان محمد بن علي أنبه إخوته وأفضلهم، فهو الذي رسخ قواعد الدعوة لبني العباس، وشيد أركانها، ورفع بنيانها، فقد سعى لتوطيدها وبثها، فوضع أنظمتها وشعاراتها، وأنشأ مجالسها، واختار قادتها، ومكن لها في الكوفة وخراسان، وشحذ عزائم أنصارها، وجهزهم ليوم إعلان الثورة وتفجيرها، وكان من أجل الناس وأعظمهم قدرا، وله علم وفقه ورواية، وكان مجاهداً يغزو مع إخوته ومواليه، وكان سيد ولد أبيه، وخيرهم دينا وأسخاهم كفا، شديد الصبر، سديد الرأي، حسن التدبير، بليغ القول.

ولأجل ذلك فقد اعتبر الكثير من المؤرخين أن محمد بن علي العباسي هو المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس لأنه أظهر الطموح السياسي الواضح والصريح في تولي زمام الأمور بعد وفاة والده، وعمل بصورة سرية ومنظمة تنظيما دقيقا لنيل الخلافة.

علاقته بأبي هاشم ووصيته له

كان محمد بن علي العباسي على علاقة وثيقة وقوية مع أبي هاشم الذي يعتبر إمام الفرقة الهاشمية، ويذكر ابن عساكر انه كان أحد تلاميذه وأن أباه أرسله اليه فتعلم عليه بالمدينة.

وبعد موت محمد بن علي ابن الحنفية عام ٨١هـ افترق أتباعه الى فرقتين: الأولى ظلت متمسكة بآرائها الكيسانية، فقالت إنه غائب عنا، لكنه حي يرزق بمكان يدعى (جبل رضوى) ولا بد من رجعته، فهم لا يوالون غيره لأنهم من ينتظرونه.

والثانية تحولت الى القول بإمامة ابنه عبد الله المكنى –بأبي هاشم– بوصية من بعده، وسميت بالفرقة الهاشمية. وتعتقد أن الأمر صار الى أبي هاشم بوصية من أبيه. وهذه الفرقة تعتبر أكبر الفرق العلوية، وأدقها تنظيما، وأكثرها حماسا. وقد عرف أبو هاشم برجاحة عقله، وسعة علمه، وحسن تدبيره، ومعرفته بأحوال الفرق. فزاد أتباعه بعد وفاة والده. فأخذ يدبر الأمور، ويبعث الدعاة بسرية تامة موضحا –في نظره– أحقيته بالخلافة.

قدم أبو هاشم على سليمان بن عبد الملك بدمشق، فأكرمه وأجازه، ثم سار أبو هاشم يريد فلسطين أو الحجاز، فمرض في الطريق وأحس بالموت، ولم يكن له ولد، فعدل الى الحميمة ونزل على محمد بن علي العباسي، فأوصى إليه بالإمامة، وسلم إليه كتب الدعاة، وأوقفه على ما يعمل به، وصرف أتباعه إليه، وأمرهم بالسمع والطاعة له، وأعلمه أن قيادة الهاشمية إليه من بعده.

هذا وقد اختلف المؤرخون في صحة هذه الوصية. فالبلاذري يؤكد صحتها بقوله: (ان أبا هاشم قال لمحمد العباسي: يا ابن عم إنا كنا نظن أن الإمامة فينا، فقد زال الشك وصرح اليقين بأنك الإمام دون أبي وأعطاه كتبه وسمى له شيعته).

أما المؤرخ اليعقوبي فهو يوافق البلاذري أن أبا هاشم بعد أن مرض قال: (ميلوا بي الى ابن عمي محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فلما قدموا عليه بالحميمة قال له: يا ابن عم أنا ميت، وقد صرت اليك، وهذه وصية أبي إلي، وفيها أن الأمر صائر إليك والى ولدك، والوقت الذي يكون فيه، والعلامة وما ينبغي لكم العمل به).

أما الطبري فيتفق في جوهر الرواية مع سابقيه، ولكنه يقول: (يا ابن عمي إن عندي علما أنبذه إليك، فلا تطلعن عليه أحدا، إن هذا الأمر الذي ترتجيه الناس فيكم).

ويعالج موضوع الوصية هذه مؤرخون آخرون مثل ابن سعد والمسعودي وغيرهم. وسواء أكانت الوصية صحيحة أم موضوعة، فان بني العباس وأتباعهم اعتمدوا عليها في تقرير حقهم في الخلافة، ولم يزالوا يذكرون أن الخلافة أتتهم من جهتها الى أيام أبي جعفر المنصور.

وقد اختلف المؤرخون المعاصرون من مستشرقين ومسلمين في صحة الوصية. فهناك من قبلها على انها صحيحة تاريخيا، أمثال فان فلوتن وبرنارد لويس وموسكتي وعبد العزيز الدوري وحسن ابراهيم حسن، وهناك من جعلها أسطورية وخيالية مثل ولهاوزن.

قد أكد جماعة من المؤرخين تحول دعوة أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية الى العباسيين والتي عمل من أجلها حوالي سبعة عشر عاما، واستقطب فيها كبار العلوية من العراق وخراسان، وفرقهم على المدن والأقاليم، وأعدها لليوم المرتقب. وكانت وفاة محمد بن علي العباسي عام ٨٩ هـ، بعد موت محمد بن الحنفية عام ٨١هـ.

أسباب تنازل أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي

في ضوء ما جاء من النصوص التاريخية التي ذكرت تنازل أبي هاشم عن الدعوة لمحمد بن علي العباسي عندما أحس بدنو الأجل، فقد استدل بعض المؤرخين المعاصرين بأن ليس هناك ما يمنع من تنازل أبي هاشم بالخلافة لأبناء عمومتهم العباسيين وذلك للأسباب التالية:

٧- ان أبا هاشم لم يكن له ولد يخلفه فيوصي له بالأمر من بعده.

٨- عرف أبو هاشم أنه لا أمل له في الوصول الى الخلافة، بعد أن عرف قرب أجله ولم يسعفه الوقت في حرية اختيار شخص آخر، فوجد أفضل الخيارات في تلك اللحظة هو محمد بن علي العباسي.

٩- كان بين أبي هاشم ومحمد بن علي العباسي علاقات ودية ولقاءات علمية وصداقة قوية، الأمر الذي ساعد على تنازل أبي هاشم لمحمد هذا.

١٠- كان أبو هاشم قد عرف كبار أتباعه ودعاته من أهل العراق وخراسان بمحمد بن علي العباسي أثناء ترددهم عليه، كما أخبرهم أن الأمر صائر اليه بعد وفاته، كما تزعم بعض الروايات.

١١- كان أبو هاشم كثيرا ما يستعين بآراء محمد بن علي العباسي حول موضوع الدعوة والدعاة وأحوال الديار، وكذلك بغضهم المشترك لبني أمي.

١٢- ان الناس لم يحتاجوا الى أن يفرقوا يومئذ بين آل البيت. هل هم علويون أم عباسيون؟ لأنهم نظروا اليهم جملة واحدة على انهم كل متضامن لا ينازل أحد أحداً، وإن كانوا بيوتا مختلفة لكل بيت دوره وواجهته.

على ان هنالك مسألة جديرة بالملاحظة وهي ان نزول أبي هاشم عن الإمامة لبني العباس لا يمكن أن يعتبر نزولا عن العلويين جميعا، لان فريقا منهم ظل متمسكا بعقائده، بدليل قيامهم في وجه العباسيين بثورات عارمة بعد قيام دولتهم.